

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[524] ويراد من هذا الكلام في الحقيقة أنَّهُم ينتظرون أُموراً مستحيلة، لا أنَّ مجيء
الـ سبحانه وتعالى أو رؤيته أُمور ممكنة. وهذا النوع من البيان والكلام أشبه ما يكون بمن
يقول لشخص مجرم معاند، بعد أن يريه ما لديه من وثائق كافية دامغة وهو مع كل هذا ينكر
جنايته: إـ ذا كنتَ لا تقبل بكل هذه الوثائق، فلعلك تنتظر أن يعود المقتول إـلى الحياة،
ويحضر في المحكمة ليشهد عليك بأنَّك الذي قتلته؟ ثمَّ يقول: أو أنَّكم تنتظرون أن تتحقق
بعض الآيات الإلهية والعلامات الخاصة بيوم القيامة ونهاية العالم يوم تنسدُّ كلُّ أبواب
التوبة: (أو يأتي بعض آيات ربِّك)؟ وعلى هذا الأساس فإنَّ عبارة (آيات ربِّك) وإن جاءت
بصورة كليَّة وعلى نحو الإجمال، ولكنَّها يمكن أن تكون بقرينة العبارات اللاحقة التي
سيأتي تفسيرها، بمعنى علامات القيامة، مثل الزلازل المخيفة، وفقدان الشمس والقمر
والكواكب لأنوارها وأضوائها، وما أشبه ذلك، أو يكون المراد من ذلك المطالب غير
المعقولة التي يطلبونها من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن جملتها أنَّهُم لا
يؤمنون به إـلاَّ أن تمطر عليهم السماء حجارة، أو تمتليء صحاري الحجاز القفرء اليابسة
بالينابيع والنخيل!! ثمَّ يضيف عقيب ذلك قائلاً: (يومَ يأتي بعضُ آياتِ ربِّك لا ينفَعُ
نفساً إـيمانُها لم تكن آمنَتْ من قبلُ أو كسَبَتْ في إـيمانِها خيراً) فأبواب التوبة
حينذاك مغلقة في وجوه الذين لم يؤمنوا إـلى تلك الساعة، لأنَّ التوبة ساعتئذ تكون ذات
صبغة اضطرارية إـجبارية، وفاقدة لمعطيات الإيمان الإختياري وقيمة التوبة النصوح. هذا،
ويتضح ممَّا قيل أن عبارة (أو كسَبَتْ في إـيمانِها خيراً) تعني أنَّ الإيمان وحده لا ينفع
في ذلك اليوم، بل حتى أولئك الذين آمنوا من قبل، ولكنَّهم لم